موقعة هندرين.[1]

من كتاب الفريق اول الركن نزار الخزرجي (مذكرات مقاتل)

في صبيحة يوم مشمس من أيام الربع الأول عام 1966، حضر وزير الدفاع، مع عدد من ضباط الأركان العامة. وعقد فور وصوله اجتماعًا بقائد الفرقة اللواء الأنصاريّ في غرفته في مقر القيادة، وفيها بيّن الاستراتيجية التي سيعمل عليها للمرحلة المقبلة في مقاتلة مسلحي البرزاني، والتي ستجبر الزعيم الكردي على التخلي عن الخيار المسلّح في خلافه مع السلطة، وذلك بتحويل الجهد الرئيس للعمليات من جبهة الفرقة الثانية – السليمانية إلى جبهة الفرقة الأولى – أربيل، على أن تعزز بألوية ووحدات من قطعات الفرقة الثانية. والغاية من ذلك هو عزل مسلّحي الملا مصطفى البرزاني عن الدعم الإيراني، وذلك بالسيطرة على المحور الرئيس الذي يربطهم بإيران أي راوندوز – برسريني – حاج عمران. وقال على القطعات أن تبدأ فورًا بالتحشد في سهل راوندوز، وتشرع بالعمليات بعد عطلة العيد المقبلة، بعد أكثر من شهر، وأن اللواء الركن زكي حسين حلمي، قائد الفرقة الأولى، سيقود العملية.

كانت النظرة الاستراتيجية للواء الأنصاريّ مختلفة تمامًا، إذ قال: «إن هذه العملية وأي عملية مشابهة أخرى لن تحقق الغاية التي استهدفها السيد وزير الدفاع، وأوضحُ أن العمليات المسلحة الحالية تختلف عن تلك التي شارك فيها الوزير في منتصف الأربعينيات. آنذاك كانت حركات عشائر متمرّدة ومحدّدة في مناطق نفوذ الملا البرزاني

---

[1] لأهمية هذه الفقرة، ونظرا لأن صاحب المذكرات لم يتطرق اليها، ارتأيت أن أضيفها إلى هذا الفصل لأنها تبين كيف أن الأنصـــاري كان فعلا هو القائد الأبرز في الجيش آنذاك، وقد اعتمدت على المعلومات الموثقة التي أوردها الفريق أول الركن نزار الخزرجي في كتابه (مذكرات مقاتل) وهو ابن أخيه ومرافقه آنذاك ، وزودت هذه الفقرة بالتصاوير الجوية المائلة والخرائط . المحقق.

والعشائر المؤيدة له، وكان وصول الأرتال العسكرية إلى مناطق تواجد ونفوذ تلك العشائر كافيًا لإخمادها، أما الآن فالوضع مختلف تمامًا! إذ تحوّل قتال المسلحين الأكراد إلى عمليات أنصار وحرب عصابات مشابهة لتلك التي حدثت في يوغسلافيا والاتحاد السوفياتي، وتدرّب عليها البرزاني ومن معه أثناء لجوئهم إلى الاتحاد السوفياتي، فالقتال الآن ليست له جبهة محدّدة وواضحة بل يجري تقريبًا في كل مكان من المنطقة الكردية في الشمال. ففيما نحن نقاتل المتمرّدين في المناطق الحدودية لمنع تعاونهم مع إيران أو تركيا، هناك قتال في مناطقنا الخلفية وعلى طرق المواصلات. إن إمساك الشريان الذي يربطهم بإيران وقطعه شيء جيد، ويمكن أن يكون بإمساك العوارض المسيطرة فيه بعدد محدود من القطعات، وإبقاء القسم الأكبر منها لضربهم وإيقاع الخسائر الموجعة فيهم، ومطاردتهم أينما كانوا. ذلك ما يردعهم ويجبرهم على التخلي عن استمرارهم بالقتال، ولا تنسَ سيادة الوزير أن هناك محاور أخرى عديدة تربطهم بإيران»، واختتم اللواء الأنصاريّ قوله: «أخشى يا سيادة الوزير أن يؤدي إصراركم على هذا النهج وتنفيذه بالصيغة التي عرضتها إلى نتائج وخيمة للقطعات التي ستقوم به ولبقية القوات المسلحة.«!!

لكن الوزير المعروف بعناده أصر على رأيه، مدعومًا بتأييد الرئيس عبد السلام عارف. جرى حشد القطعات في سهل (راوندوز) طوال الشهر الذي سبق تنفيذ العمليات، الأمر الذي أتاح للبرزاني الوقت لجلب وحدات مدفعية إيرانية مع أطقمها إلى القاطع. وبدأت قصفها القوات المتحشدة فتكبَّدت خسائر كبيرة أثّرت سلبًا في معنوياتها. كانت عارضتا هندرين وزوزك تسيطران على مدخل محور راوندوز – حاجي عمران من الشرق.

كان اللواء الرابع يمسك عارضة (هندرين) التي تسيطر على الطريق من اليمين، واللواء الثالث يمسك عارضة (زوزك) عن يسار الطريق، وقد كثف المسلحون الأكراد القصف عليهما فكبدوهما خسائر كثيرة. وفي ليلة دامسة الظلام بوغتت قطعات اللواء

الرابع على جبل هندرين بهجوم صاعق أجبرها على ترك العارضة في حالة من الفوضى الشاملة، واحتمى العسكر في السفوح والأودية القريبة، كما ترك بعض وحدات اللواء الثالث معظم مواضعه على عارضة زوزك. لم يسبق لقواتنا أن تعرضت لمثل هذه النكسة المؤلمة والمهينة مطلقًا. وكنا نخشى انعكاسها على بقية قطعات الجيش.

كان اللواء الأنصاريّ يغلي غضبًا، والأخبار السيئة عن قاطع راوندوز ترده تباعًا، فقد توقع أن يحدث ما لا تُحمَد عُقباه عندما حشدوا القطعات في رمضان قبل أكثر من شهر من موعد تنفيذ عملياتها. كان يقطع غرفته ذهابًا وإيابًا عندما دخل عليه اللواء فاضل ياسين واللواء حسن صبري محمد علي المكنى (حسن سكراب) من هيئة أركان قيادة قوة الميدان، وكان اسُتحدث مقرّ باسم قيادة قوة الميدان لإدارة العمليات في الشمال برئاسة عبد الرحمن عارف (رئيس اركان الجيش وكالة) والذي أصر عزيز العقيلي، وزير الدفاع على إبعاده عن الوزارة، لأنه لم يكن ضابط ركن، ولا يحق له أن يكون رئيسًا لأركان الجيش، كما تنص بذلك اللوائح والنظم العسكرية، فكان ذلك حلًا لتلافي أزمة بينه والرئيس عبد السلام عارف. دخلوا يسألونه ويرجونه أن يتدخل لإنقاذ الموقف بالذهاب إلى راوندوز لمعالجة الحالة المتدهورة هناك، فردّهم اللواء الأنصاريّ بجفاء وذكّرهم بتحذيره الوزير من النتائج الوخيمة لإجراءاته تلك.

رد اللواء حسن، والعبرات تخنق صوته: «لواء إبراهيم أستحلفك بالله أن تذهب، إنه شرف الجيش والوطن». فوافق الأنصاريّ وأصدر أوامره لقوات مغاوير الفرقة للتحرّك فورًا إلى راوندوز، واصطحب معه آمر مدفعيته العميد أحمد سعيد وبعض ضباط ركنه في طائرة سمتيّة [هليكوبتر] إلى هناك، وكنت معهم.

في المقرّ المتقدّم لقيادة الفرقة الأولى كان اللواء الركن زكي حسين حلمي، قائد الفرقة، الذي كان قبل أشهر آمرًا لأحد ألوية فرقتنا، يبدو تحت تأثير الصدمة التي فاجأته.

لواء زكي!! قال له الأنصاريّ، أوجز لي آخر موقف، فأوجزه.

تسلّق اللواء الأنصاريّ تلة مرتفعة قريبة تشرف على الجبهة، مصطحبًا معه اللواء زكي والعميد أحمد آمر المدفعية، وعددًا من ضباط الركن والمُخابرين (مشغلي أجهزة الاتصالات). وامتدّ الجميع على الأرض، وأصدر أول أوامره بأن ترتبط كافة وحدات المدفعية في الجبهة بشبكة الاتصالات اللاسلكية لآمر مدفعيتنا، ثم اتصل مباشرة بأحد آمري الأفواج الأمامية المقدّم الركن زاهد إسماعيل (كان مدرّسنا عندما كنت تلميذًا في كلية الأركان) للتعرف إلى الموقف من الأفواج المشتبكة بالقتال مباشرة.

فقال: «أنا اللواء الركن إبراهيم فيصل الأنصاريّ، جئت لإدارة المعركة؛ أعطني موقفك والعدو بدقة، وسأسندك بمدفعية الفرقة كلها. أعطنا التصحيحات لصب نيراننا على العدو، باشرت بعدها المدفعية بالقصف، وبعد نصف ساعة أو أقل اتصل المقدّم زاهد إسماعيل وتكلم مع اللواء الأنصاريّ وقال: «سيدي القائد إنني أرى جثثهم تتطاير بفعل نيراننا، وشرعوا بالفرار«

تركنا اللواء زكي لمتابعة الموقف، وذهبنا لاستقبال قوات مغاويرنا التي بدأت طلائعها بالوصول والتجمّع قرب راوندوز عند المدخل الشرقي لمضيق كلي علي بك، وحال تكاملها وقف اللواء الأنصاريّ بينهم وحيّاهم بحرارة، وجال ببصره في وجوههم التي يعرفها ويعتزّ بها، حيث كانوا من وحدات مغاوير الفرقة الثانية المعروفين بشجاعتهم وشراستهم في القتال. وخاطبهم قائلًا: «إن وحدات اللواء الرابع قد انسحبت من جبل هندرين ذاك الذي ترونه على اليمين (وأشار إليه)، وكذلك بعض وحدات اللواء الثالث من جبل زوزك على اليسار. وإن المتمرّدين احتلوا المرتفعات المسيطرة. أريدكم أن تسترجعوها من أيديهم سيموت بعضكم ويُجرح آخرون، لكنّ شرف الجيش والوطن أكبر وأعظم. أريد أن أرى أعلامكم ترفرف على قمم هذه الجبال. لقد ادُّخرتكم لمثل هذا اليوم.

اذهبوا والله معكم». كان زئيرهم يشق عنان السماء وهم يحيّون قائدهم، وانطلقوا. وبعد ساعات كانت أعلامهم ترفرف على قمم الجبال، والمرتفعات بعد أن سقط العديد منهم.

صورة جوية مائلة تبين عارضتي هندرين وزوزك والطريق المؤدي الى حاج عمران وتبين مناعة العارضتان

خريطة (18) هندرين وزوزك خريطة لنفس المنطقة